د. أحمد محمد الدسوقي المتوفي(*)

الكيانات العربية الإسلامية
على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا

تقديم :

نجح المسلمون في إقامة كيانات عربية إسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا ، في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، وماكان هذا النجاح إلا حلقة من حلقات الأمجاد الإسلامية التي تحققت في هذا القرن ، والتي تعطي دلالة واضحة على تفوق المسلمين على الأوربيين أنئذ .

فقد شهد القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) استيلاء المسلمين على جزيرتي كريت[1] وصقلية[2] والأرخبيل المالطي[3] وجزر البليار [4] ، وتمكنهم من إلزام جزيرة قبرص جانب الحياد في نزاعها مع البيزنطيين[5] ، كما شهد تحكمهم في الطرق البحرية ، ومداخل البحار الضيقة [6] .

أولاً : العوامل التي ساعدت على قيام الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا .

* - أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر .

اهداء من

احمد رزق

نسألكم الدعاء

صدقة جارية عنه وعن والديه

د. أحمد محمد الدسوقي المتوفي(*)

الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا

تقديم :

نجح المسلمون في إقامة كيانات عربية إسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا ، في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، وماكان هذا النجاح إلا حلقة من حلقات الأمجاد الإسلامية التي تحققت في هذا القرن ، والتي تعطي دلالة واضحة على تفوق المسلمين على الأوربيين آنئذ .

فقد شهد القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) استيلاء المسلمين على جزيرتي كريت[1] وصقلية[2] والأرخبيل المالطي[3] وجزر البليار [4] ، وتمكنهم من إلزام جزيرة قبرص جانب الحياد في نزاعها مع البيزنطيين[5] ، كما شهد تحكمهم في الطرق البحرية ، ومداخل البحار الضيقة [6] .

أولاً : العوامل التي ساعدت على قيام الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا .

* - أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر .

د. أحمد محمد الدسوقي المتوفي(*)

الكيانات العربية الإسلامية
على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا

تقديم :

نجح المسلمون في إقامة كيانات عربية إسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا ، في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، وماكان هذا النجاح إلا حلقة من حلقات الأمجاد الإسلامية التي تحققت في هذا القرن ، والتي تعطي دلالة واضحة على تفوق المسلمين على الأوربيين آنئذ .

فقد شهد القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) استيلاء المسلمين على جزيرتي كريت[1] وصقلية[2] والأرخبيل المالطي[3] وجزر البليار [4] ، وتمكنهم من إلزام جزيرة قبرص جانب الحياد في نزاعها مع البيزنطيين[5] ، كما شهد تحكمهم في الطرق البحرية ، ومداخل البحار الضيقة [6] .

أولاً : العوامل التي ساعدت على قيام الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا .

* - أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر .

المالكى : رياض النفوس . تحقيق بشير البكوش . دار الغرب الإسلامى - بيروت .

جهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار . تحقيق د. سعد زغلول . الإسكندرية ١٩٥٨م.

المراكشى (عبد الواحد) : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب . تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربى ، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٤٩م .

- المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . ليدن .

- المقريزى : اتعاظ الحنفا . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر .

قفى الكبير . تحقيق البعلاوى . دار الغرب الإسلامى .

- المقرى : نفح الطيب . تحقيق د. إحسان عباس . دار صادر - بيروت .

زهار الرياض . صندوق إحياء التراث الإسلامى .

- ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق . دار الفكر - دمشق .

- النباهى : تاريخ قضاة الأندلس . دار الكتب العلمية - بيروت .

- النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب جـ٢٤ تحقيق د. حسين نصار . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م .

- ياقوت الحموى : معجم الأدباء . دار الفكر - بيروت .

معجم البلدان . دار صادر - بيروت .

- اليمانى : إشارة التعيين فى تراجم النحاة واللغويين . تحقيق د. عبد المجيد دياب . مركز فيصل للبحوث .

د. أحمد محمد الدسوقى المنوفى(*)

الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا

تقديم :

نجح المسلمون فى إقامة كيانات عربية إسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا ، فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ، وماكان هذا النجاح إلا حلقة من حلقات الأمجاد الإسلامية التى تحققت فى هذا القرن ، والتى تعطى دلالة واضحة على تفوق المسلمين على الأوربيين آنئذ .

فقد شهد القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) استيلاء المسلمين على جزيرتى كريت[١] وصقلية[٢] والأرخبيل المالطى[٣] وجزر البليار [٤]، وتمكنهم من إلزام جزيرة قبرص جانب الحياد فى نزاعها مع البيزنطيين[٥] ، كما شهد تحكمهم فى الطرق البحرية ، ومداخل البحار الضيقة [٦].

أولاً : العوامل التى ساعدت على قيام الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا .

* - أستاذ مساعد التاريخ الإسلامى - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر .

١ - التفوق الإسلامي - بصفة عامة - على الجانب الأوربي ، وبخاصة البيزنطيون الذين اعتبروا أنفسهم أصحاب السيادة الشرعية على إيطاليا ، والفرنجة الذين كانت الكيانات العربية الإسلامية في جنوب بلادهم .

فعند قيام هذه الكيانات ، كانت موازين القوى بين المسلمين والأوربيين ، تميل ناحية الجانب الإسلامي ، وكان تفوق المسلمين في مجال البحرية ، عاملاً رئيسًا في تقدمهم ، وكان الفضل في هذا التفوق ، يرجع إلى ولاة الثغور كطرسوس وطرابلس في شرق البحر المتوسط ، ودولة الأغالبة في غربه ، بالإضافة إلى المجاهدين البحريين أو الجماعات البحرية الخاصة .

وعلى الجانب الأوربي ، نجد ضعف هذا الجانب ، وكانت الدولتان البارزتان في هذا الجانب، الإمبراطورية البيزنطية في الشرق ، وإمبراطورية الفرنجة في الغرب .

أما الإمبراطورية البيزنطية ، فكان من أهم أسباب ضعفها أمام المسلمين ، تأخرها في المجال البحري ، فقد اتجه أباطرة بيزنطة إلى إهمال شأن الأسطول ، بل إنهم تعمدوا العمل على إضعافه قبل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ؛ وذلك لأن الأسطول البيزنطي كان قد بلغ مبلغًا عظيمًا من القوة والنفوذ ، مكنه من خلع بعض الأباطرة وتنصيب بعضهم[٧]، وأدى ذلك إلى خوف الأباطرة من الأسرة الأيسورية من قوة هذا الأسطول ، كما كان للخلاف المذهبي القائم حول عبادة الصور ، دور في إضعاف هذا الأسطول ، فقد كان معظم رجال الأسطول من قطاعات تؤمن بعبادة الصور ، هذا الإيمان الذي يتجاوب مع روح الملاح الميالة إلى الخزعبلات والخرافات [٨].

يضاف إلى ذلك ، أن البيزنطيين رأوا خصومهم العباسيين منصرفين - في تلك الآونة - عن الاهتمام بالبحرية ، فأمنوا جانب بحرية خصومهم ، وجاروهم في ذلك ، فأقدموا على إلغاء القيادة العليا للأسطول ، والحط من قدر الألوية البحرية ، ونقص عدد سفنها نقصًا كبيرًا[٩]. وكان من عوامل ضعف البيزنطيين ، الفتن والثورات الداخلية ، ومن أبرز تلك الثورات ثورة توماس السلافي ما بين سنتي ٨٢١، ٨٢٣ م / ٢٠٦ ، ٢٠٨هـ ، التي كان لها تأثير سيء على البحرية البيزنطية ،و فقد تشتت شمل أساطيل الولايات البيزنطية ، وأنهكتها الحرب الأهلية ، وضعفت قوتها [١٠].

ومن عوامل ضعف البيزنطيين ، الاعتداءات الخارجية من الدول التي تناصب البيزنطيين العداء ، كالعباسيين ، والروس الفارنجيين ، أصحاب كييف وجنوب روسيا ، والبلغار والقبائل

الاسيوية المتنقلة ، فقد كلفت هذه الاعتداءات الإمبراطورية البيزنطية الكثير من الجهد والعناء وأرهقت ميزانيتها (١١).

أما إمبراطورية الفرنجة ، أو الإمبراطورية الكارولنجية ،و فكان من أهم أسباب ضعفها -أيضًا -إغفال أمر البحرية ، وكان شارلمان قد أولاها اهتمامًا كبيرًا ، ولكن خلفاءه لم يعطوها هذا الاهتمام ، وتفككت قواها في آخر أيام لويس التقى (٨١٤ - ٨٢٠ م / ١٩٩ - ٢٢٦هـ) (١٢).

وكان من عوامل ضعف دولة الفرنجة - في هذه الفترة - الخلافات الداخلية والانقسامات التي سادت الإمبراطورية ، فقد تمزقت بعد وفاة لويس التقى إلى ثلاثة أجزاء ، بمقتضى معاهدة فردن سنة ٨٤٣م / ٢٢٩هـ ، ونشبت الفتن والمعارك الداخلية في الإمبراطورية ، وبعد وفاة أبناء لويس التقى الثلاثة ، واقتسام أحفاده أركان الإمبراطورية ، ازدادت دولة الفرنجة ضعفًا على ضعف .

وفي سنة ٨٩٣م / ٢٨٠هـ ، كانت دولة الفرنجة أو فرنسا ، في مرحلة كبيرة من الضعف ، حيث كان النزاع على أشده بين (شارل البسيط) سليل الأسرة الكارولنجية ، وبين (أودو) كونت باريس ، وانتقل التاج في فرنسا من (شارل البسيط) إلى (أودو) ، ثم عاد إلى (شارل البسيط) بعد وفاة (أودو) سنة ٨٩٨م/ ٢٨٥هـ ، وظل يحكم إلى وفاته سنة ٩٢٩م/ ٣١٧هـ [١٣].

وكان من عوامل ضعف دولة الفرنجة - أيضًا - الأخطار الخارجية ، وقد تمثلت تلك الأخطار في السلاف والنافار على حدودها الشرقية ، والمسلمين على حدودها الجنوبية ، وتمثل الخطر الأكبر في النورمان (١٤).

وإذا كانت الفتن الداخلية والأخطار الخارجية ، من عوامل ضعف دولة الفرنجة ، فإنها -كذلك - لم تهيىء لها الاهتمام الكافي بالبحرية وبناء الأساطيل ، وكان ذلك - كما سبق - من أسباب ضعفها أمام المسلمين .

٢ - نشاط الجماعات البحرية الخاصة أو المجاهدين البحريين :

وكان نشاط هذه الجماعات من أكبر عوامل التفوق البحري الإسلامي على البيزنطيين والأوربيين عامة في حوض البحر المتوسط في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ،

وتحملت هذه الجماعات العبء الأكبر فى الفتوحات ، وإقامة الكيانات الإسلامية فى جنوب إيطاليا ، وكان عليها - وحدها - عبء الفتوحات وإقامة الكيانات فى جنوب فرنسا .

أما الجماعات البحرية الخاصة ، أو المجاهدون البحريون ، أو غزاة البحر - كما تطلق عليهم ذلك بعض المصادر - فهى جماعات أحبت الجهاد ، ومحاربة أعداء الإسلام ، ابتغاء مرضاة الله ، وتحلت بروح المغامرة وكان جل هذه الجماعات من الأندلس ، فأهل هذه البلاد لديهم خبرات بحرية كبيرة ، توارثوها جيلاً عن جيل ، وساعدهم على ذلك طبيعة بلاد الأندلس.

كما ساعد على وجود هذه الجماعات فى الأندلس - بصفة خاصة - أن الحكومة القائمة فى قرطبة ، قد شغلت فى هذه الفترة - القرن الثالث الهجرى - بمشاكلها الداخلية ، والنزاع مع الممالك المسيحية فى الشمال ، ولم تول البحرية ، أو الغزاة فى البحر ما يستحق من اهتمام[١٥] .

وتشير الحوليات الأوربية إلى أن هؤلاء المجاهدين الأندلسيين ، قد ركبوا البحر ، وعرفوا القتال فيه وحذقوه ، منذ أواخر القرن الثانى الهجرى ، وتعاظمت إغاراتهم ابتداء من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) [١٦] .

هذا وقد شهدت سواحل إفريقية - التابعة للأغالبة - قيام جماعات من المجاهدين البحريين، كما كانت هناك الجماعات البحرية فى جزيرة كريت ، هذه الجزيرة التى فتحتها بعض الجماعات البحرية الأندلسية سنة ٢١٢هـ كما سبق .

وقد قامت هذه الجماعات بغزو الجزر والسواحل المسيحية لحسابها الخاص ، وتحملت نفقات إنشاء السفن وتجهيزها للقتال ، وكانت حملاتهم تتم بوحى من أنفسهم بعيدة عن توجيه الأمراء والحكام فى أغلب الأحيان [١٧] .

وقد ساعد الجماعات البحرية على تحقيق النجاح ، ما كانت تتحلى به صفات الشجاعة والجرأة والإقدام وكفاءتهم فى اختيار المواقع المناسبة لإقامة معسكراتهم ، واتباعهم خطة حربية قائمة على أسلوب الكر والفر ، وقيامهم بالغارات السريعة الخاطفة ، وإتقانهم حروب الجبال والمرتفعات ،كما ساعدهم ماذاع عند غاراتهم ، من شجاعتهم الفائقة وشدة بأسهم ، مما ألقى الرعب فى قلوب خصومهم ، ومن ذلك ما وصفهم به كاتب معاصر لهم ، حيث قال : " إن

هذا وقد ضمن تدفق المجاهدين من المغرب والأندلس وكريت ، على الأماكن التى أقامت بها الجماعات البحرية فى جنوبى إيطاليا وفرنسا - بعد فتحها - تجديد نشاط هذه الجماعات، وأعانها على المضى فى تحقيق مخططاتها .

وقد جعل الدور الجهادى ، الجماعات البحرية موضع تعاطف الحكومات معهم ، وجعلتهم دولة الأمويين بالأندلس - بصفة خاصة - محل رعايتها واهتمامها .

٣ - اهتمام دولة الأغالبة بالبحرية والفتوحات البحرية :

وكانت حدود دولة الأغالبة من طرابلس شرقًا حتى بجاية غربًا ، وكان لايربطها بالدولة العباسية سوى رابطة الولاء الروحى للخليفة أمير المؤمنين ، ودفع الخراج السنوى إلى ديوان الخلافة فى بغداد ، وقد دفع الأغالبة إلى الاهتمام بالبحرية والنشاط البحرى عوامل :

أ - منها الروح الدينية العالية التى كانت تسود المغرب عامة ، وإفريقية خاصة ، ولعل ذلك من أثر الفتن التى اتخذت من أرض إفريقية وطرابلس مسرحًا داميًا ، حوالى منتصف القرن الثانى الهجرى[١٩] ، وظهور طائفة من العلماء الأتقياء الذين أسدوا النصح للرعية والأمراء على السواء ، ومن أمثلة هؤلاء الإمام سحنون ، وأسد بن الفرات والقاضى ابن محرز، وكان لأمثال هؤلاء الفضل فى مزج العلم بالتدين وبالجهاد، بطريقة لم تعرف فى غير إفريقية من بلاد الإسلام [٢٠] .

ب - ومنها أن دولة الأغالبة - كدولة فتية - لها تطلعات فى التوسع والسيطرة لم تجد فيما يتاخمها من المناطق البرية ، التى تقوم فيها دول إسلامية ، ما يحقق لها هذه الغاية ، إزاء ذلك لم تجد متنفسًا لرغبتها فى التوسع والسيطرة ، إلا الجزر والسواحل غير الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ، ووجد الأغالبة فى هذا جهاداً يثابون عليه ، بينما يأثمون بقتال جيرانهم المسلمين .

جـ - ومنها أنهم وجدوا فى الجهاد البحرى طريقًا ، يقضون به على ماكان يحدث داخل دولتهم من اضطرابات وفتن بين القبائل المختلفة [٢١] .

٤ - التعاون بين القوى البحرية الإسلامية :

كان للتعاون بين أساطيل الدول الإسلامية والجماعات البحرية فى القرن الثالث الهجرى ،

سياسة شاملة ، تضم جميع البلاد الإسلامية المحيطة بالبحر المتوسط ، وإن كان يشملها تعبير (دار الإسلام)[٢٢] ، وكان لدى المسلمين - جميعًا - شعور بالأخوة والوحدة وأنهم كالجسد الواحد ، ومن ثمار ذلك التعاون فى السراء والضراء والتكاتف والمناصرة ، كما كان لديهم الرغبة فى نشر الإسلام وجهاد أعدائه ، وكان ذلك مما يجمع الدول الإسلامية ، ويدفعها إلى العمل المشترك فى هذا الميدان .

وفى غرب البحر المتوسط - وهو ما يعنينا فى هذا البحث - كان هناك تعاون بحرى بين القوى الإسلامية الموجودة فيه ، ونعنى بها الأساطيل الإسلامية لكل من دولة الأمويين بالأندلس ، ودولة الأغالبة فى المغرب والجماعات البحرية المجاهدة فى كلتا الجهتين ، ودخلت كريت الإسلامية طرفًا فى هذا التعاون - أيضًا - مما يدل على نشاطها فى هذا القرن [٢٣] .

وقد ظل التعاون بين القوى الإسلامية البحرية فى غرب البحر المتوسط ، قائمًا طوال القرن الثالث الهجرى وحتى قيام الدولة الفاطمية سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م .

ويظهر من قراءة الأحداث التاريخية فى هذه الفترة ، أن هذا التعاون كان تلقائيًا ، ولم يكن مستندًا إلى معاهدات بين الأطراف ، وإنما كان الدافع إليه ، الرغبة فى الجهاد فى سبيل الله ، ونصرة الإخوة فى الدين .

٥ - استيلاء المسلمين على قواعد قريبة من جنوب إيطاليا وجنوب فرنسا :

مما سهل مهمة الفتح وإقامة الكيانات ، فبالنسبة لجنوب إيطاليا ، كان فتح المسلمين لجزيرة صقلية ، التى لايفصلها عن إيطاليا سوى مضيق مسينى ، من العوامل التى سهلت الفتوحات فى إيطاليا .

وقد بدأ فتح المسلمين لجزيرة صقلية سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧م [٢٤]، وبعد أن استولى المسلمون على كثير من أجزاء صقلية ، وأخضعوا باقيها الذى فى أيدى الروم لعهدهم ، اتجهوا إلى الفتوحات فى إيطاليا [٢٥]، واتخذوا من ثغور صقلية قواعد بحرية ، وفى مقدمة هذه الثغور ، ثغر بلرم فى الشمال الغربى من الجزيرة ، وكانت الثغر الأكبر الذى تغير منه الأساطيل الإسلامية على الشواطىء الإيطالية وعلى الجهات التى بقيت من صقلية تابعة للبيزنطيين [٢٦].

وقد هيأ لبلرم احتلال مكانة بحرية هامة ، ماكانت تتمتع به من موقع استراتيجى ممتاز ، لقربها من مسينى وجنوب إيطاليا من جهة ، ولسهولة اتصالها البحرى بإفريقية من جهة أخرى، وبخاصة أن جزيرة قوصرة ، كانت بيد المسلمين آنئذ [٢٧].

وبالنسبة لجنوب فرنسا ، كان قرب السواحل الأندلسية الشرقية من بلاد الفرنجة ، ثم فتح المسلمين لجزر البليار ، من أهم العوامل التى ساعدت الفاتحين المسلمين فى جنوب فرنسا .

وقد تضمنت السواحل الأندلسية الشرقية كثيراً من القواعد البحرية ، ومن أهم هذه القواعد :

أ - طركونة : وهى مدينة ساحلية فى الشمال الشرقى من الأندلس ، بين برشلونة وطرطوشة .

ب - طرطوشة : وهى مدينة قريبة من شاطىء البحر فى الساحل الشمالى الشرقى للأندلس ، شمال شرق بلنسية على نهر إبرة [٢٩].

جـ - بلنسية : من سواحل الأندلس الشمالية الشرقية ، وتقع شمال غرب دانية على نهر طورية [٣٠]. أما جزر البليار[٣١] ذات الموقع الاستراتيجى ، بين سواحل شرق أسبانيا وجنوب فرنسا وغرب إيطاليا وجزر سردانية وقورسقة وصقلية ، فكانت بعد الفتح النهائى لها سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢م[٣٢] ، بمثابة خط الدفاع الأمامى عن الأندلس فى مواجهة القوى المسيحية المعادية ، وكان لها دورها فى دعم المجاهدين البحريين الذين قاموا بالفتح فى جنوب فرنسا [٣٣].

٦ - الأوضاع فى إيطاليا وجنوب فرنسا عند الحملات الإسلامية :

فقد ساعدت تلك الأوضاع الفتوحات الإسلامية وإقامة الكيانات العربية الإسلامية ، أما إيطاليا ، فكانت لبيزنطة السادة الإسمية على مدنها ، وكانت روح الاستقلال المحلى ، تحرك سكان المدن الإيطالية الهامة ، وبخاصة نابلى التى طردت الروم سنة ٨١٧م / ٢٠٢هـ إلى خارج أسوارها ، واختارت أميراً منها ليتولى الحكم ، واقتفت أثر نابلى مدن كثيرة [٣٤].

وكان جنوب إيطاليا يشهد صراعًا بين عدة قوى ، فكانت هناك دوقية (بنفنت) التى تحولت إلى إمارة ، وشملت فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى (حوالى الثانى

للنبردية أو النوبردية أو الأنبردية ، وكانت هناك دوقية (أسبوليت) فى الشرق ، ودوقية روما فى الغرب ، ومدن منعزلة فى الجنوب والشرق [٣٥].

وكان لإمارة (بنفنت) وضع أقوى بين مدن جنوب إيطاليا ، وعملت هذه المدن على الوقوف فى وجه أمراء بنفنت اللومبارد ، والحيلولة دون توسعهم ، ووقعت إمارة بنفنت نفسها فريسة الخلافات الداخلية [٣٦].

وقد أقدمت بعض القوى المتصارعة فى جنوب إيطاليا على الاستعانة بالمسلمين ، فاستعانت بهم نابلى ضد أمير (بنفنت) كما استعانت القوى المتصارعة داخل إمارة (بنفنت) - أيضًا - بالمسلمين سنة ٨٣٩م / ٢٢٥هـ [٣٧].

وعند قدوم الحملات الإسلامية ، كانت الدولة البيزنطية مشغولة فى ميادين أخرى ، داخلية وخارجية أكثر إلحاحًا ، ولم تنل تلك الحملات الاهتمام الكافى من البحرية البيزنطية .

ومن جهة أخرى ، لم تجد بيزنطة حليفًا لها من بين المدن الإيطالية سوى البندقية ، التى قبلت التحالف مع بيزنطة ضد المسلمين ؛ فقد كانت هذه المدينة تتمتع بنشاط تجارى واسع ، ورأت أن دوام هذا النشاط ، رهن بالعمل فى ظل الإمبراطورية البيزنطية ، وكانت البندقية هى القوة البحرية الوحيدة فى الغرب ، التى اعتمدت عليها بيزنطة ، وكانت تعتبر إلى حد ما فى حكم أساطيل الأجناد التابعة لبيزنطة [٣٨].

ووجد المسلمون من بعض المدن الإيطالية حليفًا لها ضد بيزنطة ، على ساحل كمبانيا ، وبخاصة نابلى ، التى كان لها قبل ذلك علاقات تجارية مع المغاربة ، على الرغم من اعتراضات بيزنطة ، وقد دفعها إلى قبول التحالف مع العرب ، أن تتمتع بمساعدتهم ضد أمير بنفنت اللومباردى ، وبالفعل وقفت سفن المسلمين معهم فى هذا الصراع ، وقد أدى تحالف نابلى مع المسلمين إلى إضعاف البحرية البيزنطية فى البحر التيرانى ، وتمكن الأسطول الإسلامى من إحراز النجاح فى الغارات التى شنها على الجزر الأيولية سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥م [٣٩].

أما فى جنوب فرنسا ، فقد كانت الأحوال تهيىء لاستقرار المسلمين وتوسعهم ، فقد تغلب أحد سادة هذه الأنحاء ويدعى (بوزون) على ولايتى دوفينة وبروفانس ، ونصب نفسه ملكًا

انتسابه إلى بيت شارلمان ، وقام ضده بعض المنافسين ، ووقع الصدام بينهم حوالى سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م ، فى نفس الوقت الذى نزل فيه المجاهدون البحريون أرض فرنسا [٤٠].

وقد ساعدت الأحوال المضطربة فى جنوب فرنسا ، على البقاء والتوسع ؛ فقد خلف (بوزون) ملك آرل - بعد وفاته - ابنه (لويس) الذى زج بنفسه فى حروب إيطاليا إلى جانب حلفائه وهزم هناك وأسر ، وترك مملكته بدون مدافع عنها ؛ فاضطربت شئونها ، وسادتها الفوضى ، وتمكن المسلمون من الاستيلاء على تلك المملكة التى شملت جنوب فرنسا فى خاتمة القرن التاسع الميلادى (الثالث الهجرى) [٤١].

ثانيًا : الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا ووضعها السياسى:

١ - الكيانات العربية الإسلامية فى جنوب إيطاليا :

أ - بوتزا Pozza وامبدوزا Iampedouza وليشيا Leckia وقد نجحت الجماعات البحرية - ولعلها من الأندلس - فى إقامتها على الشواطىء الإيطالية عام ١٩٧هـ / ٨١٢م ، واحتفظوا بها لمدة ثلاثين عامًا [٤٢].

ب - برنديزى ، وقد تمكن المجاهدون البحريون من كريت ، بمساعدة إخوانهم المجاهدين البحريين من صقلية من فتحها سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٨م ، واستمرت سيادة المسلمين عليها إلى سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧٠م ، حيث تمكن البيزنطيون من الاستيلاء عليها ، بعد مايزيد على ثلاثين عامًا من وجود المسلمين بها [٤٣].

جـ - طارنت Tarentam ، وقد نجح المسلمون فى الاستيلاء عليها سنة ٢٢٦هـ / ٨٤٠م وهى قاعدة بحرية هامة على مدخل البحر الأدرياتى ، وتولى عرب كريت بعد ذلك حكمها ، سنة ٢٢٨ أو ٢٢٩ هـ / ٨٤٢ أو ٨٤٣م [٤٤].

وكان لوقوع طارنت فى أيدى المسلمين ، فزع لدى البيزنطيين ؛ لموقعها الهام ، فهب الإمبراطور (تيوفلس ٨٢٩ - ٨٤٢م / ٢١٤ - ٢٢٨هـ) لاسترجاعها ، ولكن المشاكل فى ذلك الوقت ، كانت متحكمة ، وقد خرج من حربه البرية مع المسلمين فى عمورية سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٨م ، مضعضعًا ؛ ولذلك فلم يستطع إلا تحريض البنادقة على مجابهة المسلمين ، وقد

لاتخاذ خطوة فعلية ، بقدر حرصهم على مصالحهم التجارية التى باتت مهددة ، بعد استيلاء المسلمين على هذه القاعدة البحرية الهامة .

وأرسل البنادقة أسطولاً مكونًا من ستين سفينة ، وجابه المسلمون بطارنت هذه القوة البحرية ، وألحقوا بها هزيمة قاسية فى مياه طارنت ، وقرب كرتونا Cortona حيث أُغرقت سفن أسطول البنادقة كلها تقريبًا . وامتد حكم المسلمين فى طارنت أربعين سنة ، ثم تمكنت بيزنطة بعد حشد قوة بحرية كبيرة ، ومساعدة حلفائها الإيطاليين فى الغرب من إسقاط المدينة (٤٥).

د – باري : وقد استولى عليها وعلى الأراضى المجاورة لها ، الجماعات البحرية من مسلمى إفريقية وصقلية ، تلك الجماعات التى استعان بها (رادليكس) ضد منافسة على السلطة فى دوقية بنفينت ، ويدعى (سيكنولوف) ، وعاون تلك الجماعات أسطول إسلامى آخر لإحدى الجماعات البحرية – كما ذهب إلى ذلك أرشيبالد لويس(٤٦) – والراجح أن هذا الأسطول كان تابعًا لولاية صقلية التابعة للأغالبة ، فقد أشار ابن الأثير إلى أن (حياة) مولى أبى عقال الأغلبى ، غزا منطقة بارى سنة ٢٢٦هـ / ٨٤١م (٤٧).

ولما انتصر البيزنطيون فى (راجوزة) شجعهم ذلك على استعادة ما فقدوه فى إيطاليا وبعثوا بأسطول كبير اشتمل على فرق بحرية من راجوزة ودالماشيا إلى بارى سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م ، وتعاون معهم (لويس الثانى) الكارولنجى ملك إيطاليا ، فحاصر المدينة برًا ، ونجح لويس فى دخول المدينة ؛ بفضل مساندة الأساطيل له ، ولكن الخلاف الذى نشب بينه وبين البيزنطيين ؛ بسبب أطماعه فى إيطاليا ، أدى إلى ضياع هذا النصر ، وعادت المدينة إلى المسلمين ، ولم يتمكن البيزنطيون من الاستيلاء عليها إلا سنة ٢٦٢هـ / ٨٧٦م(٤٨).

هـ – بنفنت : وقد نجح المسلمون فى السيطرة عليها خمس سنوات من سنة ٢٢٨-٢٣٣هـ / ٨٤٢ – ٨٤٧م (٤٩).

و – الإمارة الإسلامية عند مصب نهر (جاريليانو) ، التى نجح المسلمون فى إقامتها على الشاطىء الغربى لإيطاليا سنة ٢٦٩ أو ٢٧٠ هـ / ٨٨٢ أو ٨٨٣م ، وكانت هذه الإمارة مركز تهديد للممتلكات البابوية ، واستمرت هذه الإمارة أربعين سنة ، حيث أُخرج منها المسلمون سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥م (٥٠).

ز – مدينة ريو Reggio على الشاطىء الغربى لإيطاليا فى قلورية ، التى استولى عليها المسلمون سنة ٢٨٨هـ / ٩٠١م ، واستمر وجودهم بهذه المدينة أربع سنوات تقريبًا ، وذلك يفهم مما أوردته المصادر ، من أن المسجد لم يستمر عامرًا بها أكثر من أربع سنوات ، وقد استعان البابا (حنا الثامن) على إخراج المسلمين من هذه المدينة بالبيازنة (٥١).

٢ – الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب فرنسا :

أ – جزيرة كاماراج Camargue الواقعة فى مصب نهر الرون ، وكان للمسلمين بها قواعد شبه دائمة ، وقد نزل المسلمون هذه الجزيرة سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠م ، بعد معاركهم الناجحة فى إقليم بروفانس ، كما أقاموا قواعد لهم عند خرائب مدينة ماجلون (٥٢).

ب – قلعة فراكسنت Fraxinetum ، أما تسمية بعض المصادر العربية جبل القلال ، فقد نزل المسلمون على شواطىء خليج سان تروبيه ، وأنشأوا كثيرًا من الحصون ، ومن أهم هذه الحصون ، قلعة فراكسنت ، وكانت البداية عندما رست سفينة تقل عشرين ملاحًا ، خرجوا من سواحل الأندلس ، ودفعتهم الرياح العاصفة إلى هذا المكان فى خليج سان تروبيه Sant Tropes وكان حول هذا الخليج أشجار كثيفة ، ووراء هذه الأشجار سلسلة من الجبال ، بعضها أعلى من بعض ، وتشرف هذه الجبال على بروفانس السفلى ، ورأى العرب ملاءمة هذا المكان للاستقرار فيه ، وكان نزولهم هذا المكان سنة ٢٧٧هـ / ٨٩٠م (٥٣)، ومن هذا المكان قاموا بغارات على القرى المجاورة ، وبعد أن ازدادوا يقينا بملاءمة هذا المكان ، كاتبوا إخوانهم المجاهدين البحريين فى الأندلس وإفريقية ، يدعونهم للقدوم عليهم ، فما مضت عشر سنوات حتى امتلأت تلك الأرض بالحصون ، وأصبح المسلمون قوة يخشى بأسها ، وظل حصن فراكسنت أهم الحصون فى هذه المنطقة (٥٤).

بعد أن استقر بالمجاهدين البحريين المقام فى هذه المنطقة ، أخذوا يتقدمون نحو جبال الألب غربًا وشمالاً وساعدت الأحوال المضطربة فى جنوب فرنسا ، على التوسع والسيطرة على المنطقة كلها ، فى ختام القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ، وقد استمر بقاء المسلمين فى هذا الحصن أكثر من ثمانين عامًا(٥٥) . ولما اشتدت وطأة المسلمين فى هذه الأنحاء ، تحالف (هوج) ملك بروفانس مع إمبراطور القسطنطينية (رومانوس ليكابينوس) على إسقاط حصن فراكسنت ، وفى سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٢م ، رسا أسطول بيزنطى فى مياه سان

ى إيطاليا لينازعه حكمها ، وشرط عليهم البقاء فى رؤوس الجبال وممراتها ؛ ليغلقوا الطريق ى وجه خصمه ، وهكذا قدر للمسلمين البقاء فى هذا الحصن ، وتوطد نفوذهم مرة خرى[٥٦].

ثم كانت نهاية هذا الحصن سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م على يد (غليوم) أو (جيوم) الذى تف حوله الأهالى فى دوفينة ، واستطاع أن يصفى الوجود الإسلامى بها ، ثم اتجه إلى روفانس ، واشتدت قوته ، وتلقب بألقاب الإمارة ، واستنفر أهالى بروفانس ودوفينيه السفلى تيس لقتال العرب ، ودارت معركة عند تورتور Tourtour انهزم فيها العرب ، واضطرتهم فرنجة إلى مغادرة الحصن ، وبذلك ضاعت سيادة المسلمين ونفوذهم فى هذه المنطقة [٥٧].

جـ - فريجوس Fréjus ، استولى المسلمون عى هذا الثغر سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م ، وكان من كبر وأمنع ثغور فرنسا الجنوبية ، ويقع هذا الثغر بالقرب من (آرل) ، كما نزل المسلمون نطيب (أو عين الطيب كما ينطقها العرب) ونيس (أو نيقة عند العرب) وسان ريمو ومدينة لبنغة Albenga [٥٨].

د - غرانوبل Grenoble : استولى المسلمون على هذه المدينة مع الوادى الخصيب المسمى « وادى غرازيفودان Graisivaudan » ، وتوجد كتابة منقوشة على حجر تاريخها سنة ٩٥٤م (٣٤٣هـ) تدل على وجود المسلمين فى غرانوبل فى ذلك التاريخ ، ولم يمكث المسلمون طويلاً فى هذه المنطقة ، وتمكن الأهالى من إجلائهم سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م [٥٩].

٣ - وضع الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا من الناحية السياسية :

أ - وضع الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا :

اعتبر الأغالبة الأراضى المفتوحة فى إيطاليا ، أملاكًا تابعة لدولتهم ، وجعلوا الإشراف عليها لواليهم على صقلية ، فلما اتسعت هذه الأملاك ، أصبحت ولاية مستقلة تابعة للأغالبة مباشرة ، وأطلقوا عليها ولاية الأرض الكبيرة ، وقد عين (أبو الغرانيق) الأمير الأغلبى ، عبد الله بن يعقوب واليًا على الأرض الكبيرة سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧١م إلى جانب أخيه رياح والى صقلية [٦٠]، وكانت هذه الولاية تشمل كل أراضى جنوب إيطاليا ، من سيبونتو Si-ponto شرقًا إلى مستوى مصب نهر التيبر غربًا ، بالإضافة إلى مدينة طارنت وبارى وبرنديزى ، وذلك قبل منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) .

ب - وضع الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب فرنسا من الناحية السياسية :

قامت الدولة الأموية بالأندلس بضم الأراضى الجديدة ، التى تمكنت الجماعات البحرية المجاهدة من فتحها فى جنوب فرنسا إلى ممتلكاتها ؛ باعتبار الفاتحين من رعاياها ، وقد اعترف فاتحوها بسيادة هذه الدولة ، وقام أمير قرطبة بتعيين عامل يتولى شئون تلك الأراضى، فعندما استولى هؤلاء المجاهدون على حصن فراكسنت أو جبل القلال ، عينت له قرطبة عاملاً يتبع والى ميورقة وسائر جزر البليار التابع لأمير الأندلس ، ولما توسع المجاهدون فى الأراضى الفرنسية والإيطالية الشمالية وسويسرا ، أصبح جبل القلال (فراكسنت) عاصمة تلك الممتلكات الإسلامية [٦١].

ثالثًا : العوامل التى أدت إلى القضاء على الكيانات الإسلامية فى جنوب إيطاليا وجنوب فرنسا :

١ - تفوق الجانب البيزنطى على الجانب الإسلامى فى موازين القوى :

وقد بدأت موازين القوى تميل ناحية البيزنطيين ، منذ مطالع القرن الرابع الهجرى ، وكان من أهم أسباب هذا التفوق :

أ - اهتمام بيزنطة - من جديد - بالبحرية والعناية بالأساطيل [٦٢].

ب - هدوء الجبهة الداخلية البيزنطية ، وكان مرد ذلك إلى القضاء نهائيًا على تحريم عبادة الصور [٦٣].

وقد أخذ ميزان القوى فى الميل ناحية الجانب البيزنطى ميلاً واضحًا ، منذ تولى الحكم الإمبراطور (رومانوس ليكابينوس ٩٢٠ - ٩٤٤م / ٣٠٨ - ٣٣٣هـ) الذى استعان بقيادات عسكرية على درجة عالية من الكفاءة [٦٤].

أما على الجانب الإسلامى ، فكانت عوامل ضعفه ما يلى :

أ - ضعف الخلافة العباسية ، وتحكم الأتراك فى أمور الدولة ، واستيلاء بنى بويه الشيعة على مقاليد الأمور فى بغداد سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥م .

ب - ما أصاب البحرية الإسلامية من ضعف ؛ نتيجة اختفاء القواد العظام من أمثال غلام زرافة وداميان ، وضياع كريت ذات الموقع الهام سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١م ، والتى أدت دورًا بحريًا عظيمًا فى شرق البحر المتوسط وفى غربه ، وكانت خطرًا على الإمبراطورية البيزنطية ،

سقوط طرسوس القاعدة البحرية الهامة فى يد البيزنطيين سنة ٣٥٤ هـ ، ٩٦٥ ، وسقوط رص سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م [٦٥].

جـ - انقسام العالم الإسلامى إلى ثلاث خلافات متعادية : الخلافة العباسية ، والخلافة فاطمية ، والخلافة الأموية ، بعد أن كانت خلافة واحدة فى القرن الثالث الهجرى ، وحتى نة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م . وكان لأوضاع العالم الإسلامى المتردية فى هذه الفترة ، وتفوق بيزنطيين ، وإحرازهم الانتصارات على المسلمين فى المشرق ، واستيلائهم على بعض المدن الثغور الإسلامية كملطية وطرسوس ، له تأثيره السيىء على المجاهدين البحريين فى جنوب إيطاليا وجنوب فرنسا ، ولاشك أنه نال من قوتهم المعنوية ، فى الوقت الذى رفع فيه من معنويات أعدائهم ، وجرأهم عليهم ، وبخاصة أن الانتصارات البيزنطية فى الشرق تزامنت مع اشتداد الهجمة عليهم فى فرنسا وإيطاليا .

٢ - تغير الأوضاع فى كل من بلاد المغرب - إفريقية بصفة خاصة - وبلاد الأندلس وكريت ، فقد كانت إفريقية ظهيراً للمجاهدين البحريين فى جنوب إيطاليا ، كما كانت الأندلس كذلك بالنسبة للمجاهدين البحريين فى جنوب فرنسا ، وكانت القوات البحرية الإسلامية الكريتية تشارك فى الفتوحات البحرية ، وبخاصة فى إيطاليا .

أما إفريقية ، فقد سقطت دولة الأغالبة ، وقامت على أنقاضها الدولة الفاطمية سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م ، وعلى الرغم من أن الدولة الفاطمية كانت متفوقة من الناحية البحرية ، وكانت لها حملات بحرية ناجحة على جنوب إيطاليا وفى صقلية ، ولكن اتجاه هذه الدولة كان إلى الشرق ، وكانت لهم رغبة قوية فى اتخاذ مصر مركزاً لخلافتهم ، وقد تمكنوا من ذلك عام ٣٦٢هـ / ٩٧٣م ، وركزوا اهتمامهم بعد نزولهم مصر بالجانب الشرقى من البحر المتوسط ، ولم يتمكن الزيريون الذين خلفوا الفاطميين فى المغرب ، والكلبيون الذين خلفوهم فى صقلية من الاحتفاظ بالسيادة والتفوق الذى كان على عهد الفاطميين [٦٦].

أما الأندلس فقد كثرت فيها الفتن والاضطرابات الداخلية منذ مطالع القرن العاشر الميلادى، وزاد ضغط الممالك المسيحية عليها فى الشمال ، بالإضافة إلى خطر النورمانديين ، الذين أصبح خطرهم فى عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١م) برياً وبحرياً - بعد أن كان بحرياً فقط - وذلك بعد نجاحهم فى تأسيس دوقية ، نورمانديا) فى شمال غرب فرنسا ، وكان ذلك متزامناً مع تولى الناصر الحكم فى الأندلس ، وهاجموا ثغر

سرقسطة أكثر من مرة ، وازداد خطرهم فى عهد الحكم المستنصر بالله (٣٥٠ - ٣٦٦هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م) ، وفى سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦م هاجموا سواحل الأندلس الغربية ، ثم عادوا وهاجموا الأندلس سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧١م وسنة ٣٦١ / ٩٧٢م ، وكان الأسطول الأندلسى يقظاً وعلى قدر من القوة مكنته من صد هذه الهجمات [٦٧].

وكان قيام الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب ، عاملاً قوياً من عوامل انشغال الدولة الأموية فى الأندلس عن المجاهدين البحريين فى جنوب فرنسا ، فقد أزعجهم قيام هذه الدولة الشيعية ، ورأوا فيها منافساً خطيراً لدولتهم ، وخافوا امتداد نفوذها إلى الأندلس ، وقد دفع ذلك عبد الرحمن الناصر إلى التحالف مع إمبراطور بيزنطة و (هوغ) أمير برفانس سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥م ، وليس هناك مايدل صراحة على أن بهذا التحالف نصوصاً ضد المجاهدين البحريين ، إلا أنه كان له تأثير سيىء على المجاهدين البحريين ، فهو على أحسن الفروض ، سيجعل موقف الأمويين بالأندلس سلبياً تجاه هؤلاء المجاهدين [٦٨].

أما كريت ، فبعد اشتراكها مع سفن صقلية وإفريقية فى مهاجمة ساحل دالماشيا على الجانب الشرقى من البحر الأدرياتيكى سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م ، قصرت نشاطها البحرى -تقريباً- على شرق البحر المتوسط ، لعوامل من أهمها البعد المكانى ، ثم ركزت بيزنطة جهودها على منع تعاون المسلمين فى هذه الجزيرة مع غيرهم من المسلمين فى الجهات الأخرى ، ومحاولة حصارهم ، وبذلت قصارى جهدها فى محاولات للاستيلاء على كريت ، حتى تحقق لها هذا - أخيراً - سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م [٦٩].

٣ - ما طرأ على أحوال المجاهدين :

كانت الحماسة الدينية والرغبة فى الجهاد ، وراء ظهور جماعات المجاهدين البحريين ، وحدث فى هذه الفترة ما قلل من جذوة هذه الحماسة ، فبعد أن أصاب المسلمين ما أصابهم من الرخاء وكثرة النعم [٧٠]، وندر وجود أمثال أسد بن الفرات وغيره من العلماء المجاهدين والزهاد الواعظين ، نكصوا عن الجهاد ، وفتروا عن الخروج ، ونضب بسبب ذلك معين الجماعات البحرية المجاهدة ، وقل عدد الملتحقين بها .

أما الجماعات المجاهدة القائمة فى جنوب إيطاليا وفرنسا ، فقد أصبح نهمهم للمال ورغبتهم فى الحصول عليه ، يغطى على الرغبة الصادقة فى الجهاد [٧١]، وقد يكون لذلك مبرراته لديهم ، وربما كان لانصراف الدول الإسلامية التى كانت تمدهم بالعون عنهم إلى

إلى إيطاليا لينازعه حكمها ، وشرط عليهم البقاء فى رؤوس الجبال وممراتها ؛ ليغلقوا الطريق فى وجه خصمه ، وهكذا قدر للمسلمين البقاء فى هذا الحصن ، وتوطد نفوذهم مرة أخرى (٥٦).

ثم كانت نهاية هذا الحصن سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م على يد (غليوم) أو (جيوم) الذى التف حوله الأهالى فى دوفينة ، واستطاع أن يصفى الوجود الإسلامى بها ، ثم اتجه إلى بروفانس ، واشتدت قوته ، وتلقب بألقاب الإمارة ، واستنفر أهالى بروفانس ودوفينيه السفلى ونيس لقتال العرب ، ودارت معركة عند تورتور Tourtour انهزم فيها العرب ، واضطرتهم الفرنجة إلى مغادرة الحصن ، وبذلك ضاعت سيادة المسلمين ونفوذهم فى هذه المنطقة (٥٧).

جـ - فريجوس Fréjus ، استولى المسلمون عى هذا الثغر سنة ٣١٨هـ / ٩٣٠م ، وكان من أكبر وأمنع ثغور فرنسا الجنوبية ، ويقع هذا الثغر بالقرب من (آرل) ، كما نزل المسلمون إنطيب (أو عين الطيب كما ينطقها العرب) ونيس (أو نيقة عند العرب) وسان ريمو ومدينة البنغة Albenga (٥٨).

د - غرانوبل Grenoble : استولى المسلمون على هذه المدينة مع الوادى الخصيب المسمى « وادى غرازيفودان Graisivaudan » ، وتوجد كتابة منقوشة على حجر تاريخها سنة ٩٥٤م (٣٤٣هـ) تدل على وجود المسلمين فى غرانوبل فى ذلك التاريخ ، ولم يمكث المسلمون طويلاً فى هذه المنطقة ، وتمكن الأهالى من إجلائهم سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م (٥٩).

٣ - وضع الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا من الناحية السياسية :

أ - وضع الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا :

اعتبر الأغالبة الأراضى المفتوحة فى إيطاليا ، أملاكًا تابعة لدولتهم ، وجعلوا الإشراف عليها لواليهم على صقلية ، فلما اتسعت هذه الأملاك ، أصبحت ولاية مستقلة تابعة للأغالبة مباشرة ، وأطلقوا عليها ولاية الأرض الكبيرة ، وقد عين (أبو الغرانيق) الأمير الأغلبى ، عبد الله بن يعقوب واليًا على الأرض الكبيرة سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧١م إلى جانب أخيه رباح والى صقلية (٦٠) ، وكانت هذه الولاية تشمل كل أراضى جنوب إيطاليا ، من سيبونتو Si-ponto شرقًا إلى مستوى مصب نهر التيبر غربًا ، بالإضافة إلى مدينة طارنت وبارى وبرنديزى ، وذلك قبل منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) .

ب - وضع الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب فرنسا من الناحية السياسية :

قامت الدولة الأموية بالأندلس بضم الأراضى الجديدة ، التى تمكنت الجماعات البحرية المجاهدة من فتحها فى جنوب فرنسا إلى ممتلكاتها ؛ باعتبار الفاتحين من رعاياها ، وقد اعترف فاتحوها بسيادة هذه الدولة ، وقام أمير قرطبة بتعيين عامل يتولى شئون تلك الأراضى، فعندما استولى هؤلاء المجاهدون على حصن فراكسنت أو جبل القلال ، عينت له قرطبة عاملاً يتبع والى ميورقة وسائر جزر البليار التابع لأمير الأندلس ، ولما توسع المجاهدون فى الأراضى الفرنسية والإيطالية الشمالية وسويسرا ، أصبح جبل القلال (فراكسنت) عاصمة تلك الممتلكات الإسلامية (٦١).

ثالثًا : العوامل التى أدت إلى القضاء على الكيانات الإسلامية فى جنوب إيطاليا وجنوب فرنسا :

١ - تفوق الجانب البيزنطى على الجانب الإسلامى فى موازين القوى :

وقد بدأت موازين القوى تميل ناحية البيزنطيين ، منذ مطالع القرن الرابع الهجرى ، وكان من أهم أسباب هذا التفوق :

أ - اهتمام بيزنطة - من جديد - بالبحرية والعناية بالأساطيل (٦٢).

ب - هدوء الجبهة الداخلية البيزنطية ، وكان مرد ذلك إلى القضاء نهائيًا على تحريم عبادة الصور (٦٣).

وقد أخذ ميزان القوى فى الميل ناحية الجانب البيزنطى ميلاً واضحًا ، منذ تولى الحكم الإمبراطور (رومانوس ليكابينوس ٩٢٠ - ٩٤٤م / ٣٠٨ - ٣٣٣هـ) الذى استعان بقيادات عسكرية على درجة عالية من الكفاءة (٦٤).

أما على الجانب الإسلامى ، فكانت عوامل ضعفه ما يلى :

أ - ضعف الخلافة العباسية ، وتحكم الأتراك فى أمور الدولة ، واستيلاء بنى بويه الشيعة على مقاليد الأمور فى بغداد سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥م .

ب - ما أصاب البحرية الإسلامية من ضعف ؛ نتيجة اختفاء القواد العظام من أمثال غلام زرافة ودميان ، وضياع كريت ذات الموقع الهام سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١م ، والتى أدت دوراً بحريًا عظيمًا فى شرق البحر المتوسط وفى غربه ، وكانت خطراً على الإمبراطورية البيزنطية ،

وسقوط طرسوس القاعدة البحرية الهامة فى يد البيزنطيين سنة ٣٥٤ هـ . ٩٦٥ ، وسقوط قبرص سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م (٦٥).

جـ - انقسام العالم الإسلامى إلى ثلاث خلافات متعادية : الخلافة العباسية ، والخلافة الفاطمية ، والخلافة الأموية ، بعد أن كانت خلافة واحدة فى القرن الثالث الهجرى ، وحتى سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م . وكان لأوضاع العالم الإسلامى المتردية فى هذه الفترة ، وتفوق البيزنطيين ، وإحرازهم الانتصارات عى المسلمين فى المشرق ، واستيلائهم على بعض المدن والثغور الإسلامية كملطية وطرسوس ، له تأثيره السيىء على المجاهدين البحريين فى جنوب إيطاليا وجنوب فرنسا ، ولاشك أنه نال من قوتهم المعنوية ، فى الوقت الذى رفع فيه من معنويات أعدائهم ، وجرأهم عليهم ، وبخاصة أن الانتصارات البيزنطية فى الشرق تزامنت مع اشتداد الهجمة عليهم فى فرنسا وإيطاليا .

٢ - تغير الأوضاع فى كل من بلاد المغرب - إفريقية بصفة خاصة - وبلاد الأندلس وكريت ، فقد كانت إفريقية ظهيراً للمجاهدين البحريين فى جنوب إيطاليا ، كما كانت الأندلس كذلك بالنسبة للمجاهدين البحريين فى جنوب فرنسا ، وكانت القوات البحرية الإسلامية الكريتية تشارك فى الفتوحات البحرية ، وبخاصة فى إيطاليا .

أما إفريقية ، فقد سقطت دولة الأغالبة ، وقامت على أنقاضها الدولة الفاطمية سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م ، وعلى الرغم من أن الدولة الفاطمية كانت متفوقة من الناحية البحرية ، وكانت لها حملات بحرية ناجحة على جنوب إيطاليا وفى صقلية ، ولكن اتجاه هذه الدولة كان إلى الشرق ، وكانت لهم رغبة قوية فى اتخاذ مصر مركزاً لخلافتهم ، وقد تمكنوا من ذلك عام ٣٦٢هـ / ٩٧٣م ، وركزوا اهتمامهم بعد نزولهم مصر بالجانب الشرقى من البحر المتوسط ، ولم يتمكن الزيريون الذين خلفوا الفاطميين فى المغرب ، والكلبيون الذين خلفوهم فى صقلية من الاحتفاظ بالسيادة والتفوق الذى كان على عهد الفاطميين (٦٦).

أما الأندلس فقد كثرت فيها الفتن والاضطرابات الداخلية منذ مطالع القرن العاشر الميلادى، وزاد ضغط الممالك المسيحية عليها فى الشمال ، بالإضافة إلى خطر النورمانديين ، الذين أصبح خطرهم فى عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١م) برياً وبحرياً - بعد أن كان بحرياً فقط - وذلك بعد نجاحهم فى تأسيس دوقية . نورماندیا) فى

سرقسطة أكثر من مرة ، وازداد خطرهم فى عهد الحكم المستنصر بالله (٣٥٠ - ٣٦٦هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م) ، وفى سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦م هاجموا سواحل الأندلس الغربية ، ثم عادوا وهاجموا الأندلس سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧١م وسنة ٣٦١ / ٩٧٢م ، وكان الأسطول الأندلسى يقظاً وعلى قدر من القوة مكنته من صد هذه الهجمات (٦٧).

وكان قيام الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب ، عاملاً قوياً من عوامل انشغال الدولة الأموية فى الأندلس عن المجاهدين البحريين فى جنوب فرنسا ، فقد أزعجهم قيام هذه الدولة الشيعية ، ورأوا فيها منافساً خطيراً لدولتهم ، وخافوا امتداد نفوذها إلى الأندلس ، وقد دفع ذلك عبد الرحمن الناصر إلى التحالف مع إمبراطور بيزنطة و (هوغ) أمير برفانس سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥م ، وليس هناك مايدل صراحة على أن بهذا التحالف نصوصاً ضد المجاهدين البحريين ، إلا أنه كان له تأثير سيىء على المجاهدين البحريين ، فهو على أحسن الفروض ، سيجعل موقف الأمويين بالأندلس سلبياً تجاه هؤلاء المجاهدين (٦٨).

أما كريت ، فبعد اشتراكها مع سفن صقلية وإفريقية فى مهاجمة ساحل دالماشيا على الجانب الشرقى من البحر الأدرياتيكى سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م ، قصرت نشاطها البحرى -تقريبًا- على شرق البحر المتوسط ، لعوامل من أهمها البعد المكانى ، ثم ركزت بيزنطة جهودها على منع تعاون المسلمين فى هذه الجزيرة مع غيرهم من المسلمين فى الجهات الأخرى ، ومحاولة حصارهم ، وبذلت قصارى جهدها فى محاولات للاستيلاء على كريت ، حتى تحقق لها هذا - أخيراً - سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م (٦٩).

٣ - ما طرأ على أحوال المجاهدين :

كانت الحماسة الدينية والرغبة فى الجهاد ، وراء ظهور جماعات المجاهدين البحريين ، وحدث فى هذه الفترة ما قلل من جذوة هذه الحماسة ، فبعد أن أصاب المسلمين ما أصابهم من الرخاء وكثرة النعم (٧٠)، وندر وجود أمثال أسد بن الفرات وغيره من العلماء المجاهدين والزهاد الواعظين ، نكصوا عن الجهاد ، وفتروا عن الخروج ، ونضب بسبب ذلك معين الجماعات البحرية المجاهدة ، وقل عدد الملتحقين بها .

أما الجماعات المجاهدة القائمة فى جنوب إيطاليا وفرنسا ، فقد أصبح نهمهم للمال

مشكلاتهم الخاصة ، ضلع كبير فى توجه هذه الجماعات الجديدة ، ومن جهة أخرى من الجائز أن يكون اتجاه الجماعات المجاهدة إلى المال والدنيا - بطريقة مبالغ فيها - سببًا فى انصراف المسلمين المخلصين عنها وعن عونها ، ويتصل بذلك اتصالاً وثيقًا ، استعانتهم بالمغامرين من غير المسلمين - فى حروبهم وجهادهم ، وكان ذلك من عوامل ضعفهم ، ولعلهم اضطروا لذلك بعد أن نضب معين المجاهدين ، وقلت أعداد الوافدين عليهم من الأندلس وإفريقية .

كما كان من عوامل ضعفها ، تغير وسائلها فى قتال أعدائها ، من وسائل أجادتها ، وكانت سر تفوقها إلى وسائل أخرى ، ربما كان أعداؤها أكثر اتقانًا لها منهم ؛ فقد برع هؤلاء المجاهدون فى المعارك القائمة على الكر والفر ، ومعارك المرتفعات ، فإذا ما تحولوا عن ذلك إلى حرب السهول دارت الدائرة عليهم ، كما حدث من الغرب فى فراكسنت ، عندما علموا بقدوم (غليوم) كونت بروفنس ومعه الجموع الغفيرة سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥م فقد نزلوا من مواقعهم على الجبال إلى السهول فانهزم المسلمون (٧٢).

٤ - فقدان روح التعاون بين الأقطار الإسلامية :

وقد بدأت هذه الظاهرة منذ قيام الدولة الفاطمية فى المغرب سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩م ، وحل محل التعاون النزاع والخلاف ، وناصبت الدولة الفاطمية منذ قيامها ، الدولة الأموية فى الأندلس العداء ، وأقدم عبد الرحمن الناصر على عقد المحالفات ضد هذه الدولة ، فتحالف مع الإمبراطورية البيزنطية ، ومع أمير بروفانس - كما سبق القول - وتطور الخلاف بين الدولتين إلى الصدام المسلح سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥م ، عندما هاجمت السفن الأندلسية سفينة فاطمية ، فأمد الخليفة الفاطمى واليه على صقلية بأسطول ليلحق بالسفن الأندلسية ، ووصل هذا الأسطول مدينة المرية الأندلسية وهاجم مرساها ، ودخلت قواته المدينة وعاد إلى إفريقية بعد ذلك .

وقد رد الخليفة الأموى على ذلك ، فأرسل حملة بحرية هاجمت مرسى الخرز ، ودمرت كل منطقة سوسة وذلك فى العام التالى ٣٤٥هـ / ٩٥٦م ، واستمرت العداوة بين الأمويين والفاطميين حتى بعد انتقالهم إلى مصر ، وكانت من نتيجة ذلك ضعف الجبهة الإسلامية فى الحوض الغربى من البحر المتوسط (٧٣).

٥ - النشاط الدينى والتعبئة الروحية فى أوربا ضد المسلمين :

فقد شهد العالم الأوربى منذ مطلع القرن العاشر الميلادى ، نشاطًا دينيًا وحماسًا لقتال أعدائهم فى الدين - وبخاصة المسلمون - وكان الفضل فى ذلك يرجع إلى الحركات الديرية التى كانت تعمل على تقوية الجانب الروحى ، وأهم هذه الحركات الحركة الكلونية ، نسبة إلى دير كلونى Cluny فى برجنديا بفرنسا ، وتبع هذه الحركة حركات ديرية أخرى ، وقد اختار بعض الباحثين عام ٩١١م / ٢٩٩هـ ، وهو العام الذى أسس فيه دير كلونى ، بداية النشاط الدينى الجديد فى أوربا (٧٤).

ومن جهة أخرى ، كان ما صاحب غارات العرب المتأخرة على الجهات المختلفة من فرنسا وإيطاليا ، من استيلاء على الممتلكات والأراضى وغير ذلك ، واشتطاطهم فى جمع الضرائب والرسوم على المارين بهم فى المواقع الممتازة التى أقاموا بها ، وبخاصة رجال الدين المسيحى ، سببًا فى ازدياد موجة الغضب والسخط عليهم ، وساعد على تعبئة الشعوب ضدهم ، وكان لرجال الدين الدور الأكبر فى هذه التعبئة (٧٥). وأصبح الأهالى متشوقين لإخراج هؤلاء العرب، ليس بدافع من حماسهم الدينى فحسب ، بل ومن وطنيتهم أيضًا ، بعد أن كانوا - أول الأمر - مستسلمين للأقدار معتقدين " أن غزوات العرب لبلادهم ، إنما هى عقاب من الله تعالى على خطاياهم ، فكانوا راضين بما قدره الله عليهم ولايحاولون دفعه " (٧٦).

٦ - اتجاه بعض الشعوب الأوربية إلى النشاط البحرى ، والقيام بأعمال فدائية ، ومزاحمة المسلمين فى هذا المجال :

وكان النورمان أسبق الشعوب فى أوربا الغربية اتجاهًا إلى البحر ، وكانت لهم غزواتهم للشواطىء الأوربية ولشمال إفريقيا (بلاد المغرب) ، وقد أغاروا على سواحل الأندلس أكثر من مرة فى عهد الناصر وولده المستنصر - كما مر - وكان لهذه الغارات أثر غير مباشر على أوضاع المسلمين فى جنوب فرنسا حيث شغلت حكام الأندلس عن هذه المنطقة (٧٧).

ولحق بالنورمان فى الفترة التى يتناولها البحث ، بعض الشعوب وبخاصة فى أوربا الغربية، وقد دفعهم إلى ذلك ، ضعف المسلمين البحرى ، سواء فى الأندلس أو إفريقية أو صقلية ، إلى جانب ضعف سلطان بيزنطة البحرى فى المياه الغربية (٧٨). كما دفعهم النفع المادى الذى يجنونه من وراء مغامراتهم البحرية ومهاجمة الشواطىء المعادية ، هذا بالإضافة إلى أهمية الناحية البحرية لرواج التجارة وسلامتها . ومن أبرز الأمثلة عى ذلك البندقية على

الشاطىء الشرقى لإيطاليا ، فقد تمكنت من أن تجعل الأدرياتى بحيرة خاصة ، بعد إخراج المسلمين من أبوليا ، وامتلاك مدن ساحل دلماشيا ، وعلى الشاطىء الغربى ، اتجهت جنوة وبيزا نحو البحر ، واندفعت فى حملات عبر البحر المتوسط لنهب الشواطىء الإسلامية (٧٩).

رابعًا : نتائج قيام الكيانات العربية الإسلامية فى جنوب إيطاليا وفرنسا :

١ – من الناحية العسكرية :

كانت المستوطنات بمثابة مراكز حربية متقدمة ، وحواجز واقية للقوى الإسلامية فى المغرب والأندلس (٨٠).

فكانت الكيانات فى جنوب إيطاليا ، مراكز حربية متقدمة للمسلمين فى صقلية وبلاد المغرب ، ودرعًا واقيًا لهم ضد أعدائهم ؛ فقد شغل الإيطاليون وحماتهم من البيزنطيين بالدفاع عن الأراضى الإيطالية ، عن مهاجمة صقلية وبلاد المغرب ، كما كانت الكيانات فى جنوب فرنسا مراكز حربية متقدمة ، ودرعًا واقيًا للمسلمين فى جزر البليار والسواحل الشرقية من الأندلس ، وانشغل الفرنجة بهذه الكيانات ، وصرفهم ذلك عن التفكير فى غزو الأندلس أو إزاحة الوجود الإسلامى فى جزر البليار .

هذا وقد اهتم المسلمون فى هذه الكيانات ببسط سيادتهم عى المناطق الحاكمة أو الاستراتيجية : فكانت لهم السيطرة على ممرات جبال الألب ، وتحكموا فى الطريق بين فرنسا وشمال إيطاليا ، وبينها وبين سويسرا ، وقطعوا الصلة بين إيطاليا ، وماوراء الألب من بلاد أوربا ، وحقق المسلمون مركزًا عسكريًا مرموقًا ، جعل القوى المحلية الأوربية تستعين بهم فى صراعاتهم الداخلية (٨١).

٢ – من الناحية الحضارية :

هناك من ينفى الأثر الحضارى ، ويرى أن الأمر اقتصر على الغارات العسكرية ، ولم يكن ثم مجال لهذا الأثر الحضارى (٨٢)، ولكن إذا صدق هذا بالنسبة للكيانات الإسلامية فى إيطاليا إلى حد ما . فإنه لايصدق على الكيانات الإسلامية فى فرنسا ، نظرًا لوجود المسلمين هناك فترات طويلة ، بلغت خمسًا وثمانين سنة ، أو مايزيد فى بعض الجهات ، ولم تكن فترات الإقامة الطويلة هذه حربيًا متصلة ، بل كان يتخللها فترات سلام ، تتيح للتأثير والتأثر الحضارى أن يظهر ، وتبدو معالمه ، وهذا بالفعل ما تؤكده الدراسات والبحوث التاريخية ، ويعرض البحث لبعض نواحى التأثير والأثر الحضارى .

أ – الإقبال على الإسلام وانتشار اللغة العربية :

فقد أقبل بعض أبناء هذه البلاد على الإسلام ، وانتشرت اللغة العربية ، ويشير بعض الباحثين إلى أن اللغة الفرنسية ، دخلتها كثير من مفردات اللغة العربية ، وإن كان أكثر هذه المفردات قد دخلت بعد جلائهم عن جنوب فرنسا ، لأن العلاقات التجارية لم تنقطع بين العرب وفرنسا فى يوم من الأيام (٨٤).

ب – الناحية الاقتصادية والاجتماعية :

١ – الناحية الاقتصادية : فى الزراعة نقل المجاهدون – وجلهم من الأندلس – خبرتهم فى الزراعة إلى جنوب فرنسا ، وتعلم الأهالى منهم ذلك ، وكان بعض المجاهدين قد تخلفوا عن إخوانهم ، واستقروا فى الأراض الزراعية وتوفروا على زراعتها ، وإلى هؤلاء المسلمين يرجع الفضل فى إدخال القمح الأسمر إلى فرنسا وزراعته بها ، كما حملوا فسائل النخيل من أسبانيا وإفريقية إلى شواطىء الريفيرا ، ويقال إن العرب الذين نزلوا فى بروفانس هم الذين بدأوا فى استثمار شجر البلوط فى فرنسا (٨٥).

وفى الثروة الحيوانية ، كان للمسلمين فضل فى تحسين نسل الخيول فى جنوب فرنسا ، ولاسيما فى (كاماراج) فى مقاطعة (لاند) من أعمال (غسقونية) فخيول هذه البلدة الأصيلة الجميلة ، إنما هى نتاج اختلاط الخيول العربية بخيول هذه البلدة (٨٦).

وفى الصناعة من آثار المسلمين الصناعية استخراج القطران الذى تطلى به قاع السفن ويحميها من التلف ، وقد علموه لأهل بروفانس ، وأصبح عندهم من الصناعات الشائعة ، ومايزال أهل بروفانس دون سائر الفرنسيين ينطقون قطران بنفس النطق العربى (٨٧).

٢ – الناحية الاجتماعية : كان لنزول المسلمين مدة طويلة فى بروفانس ، أثر فى تقاليد هذه المنطقة ، ومن ذلك أن هناك أنواعًا معينة من الرقص يظن أنها ترجع إلى أصل عربى (٨٨).

جـ – الناحية الأثرية : أظهرت البحوث الأثرية وجود أطلال الحصون العربية القديمة التى أقامها المجاهدون على شواطىء خليج سان تروبيه ، وماتزال قائمة على مرتفعات الألب الفرنسية والسويسرية ، وهى تدل على مدى مهارة المسلمين فى تشييد تلك الحصون وتقويتها، كما وجدت أبراج قائمة فوق الآكام والربى فى جنوب فرنسا وبعض أنحاء إيطاليا الشمالية

وإن كان بعض الباحثين الأوربيين يرى أنه ليس هناك مايمنع أن يكون أهالى البلاد ، هم الذين أقاموا هذه الحصون والأبراج كلها أو بعضها (٨٩).

ومما وجد من آثار العرب فى فرنسا بعض الملابس الحريرية والأوانى الثمينة من العاج والفضة والكؤوس البلورية والأسلحة النفيسة ، وجانب منها فى خزائن الكنائس ، ولدى هواة التحف(٩٠).

ومن آثار المسلمين فى جنوب فرنسا ، إطلاق اسمائهم على بعض الأماكن ، وكان الأوربيون يطلقون على المسلمين (سرازين) (أو سراكين) أو (المورو) واللفظ الأخير أطلق على المغاربة خاصة ، ومن الأماكن التى أطلق عليها اسم المسلمين ، ناحية فى نيس (نيقة) Canton Des Sarrazin (٩١).

وبجانب الآثار المادية التى تركها المجاهدون فى فرنسا ، هناك المكانة العظيمة التى تركها هؤلاء المسلمون فى نفوس الأهالى ، وقد تعرضت فرنسا لغارات النورمان والمجر ، ولكن لم يبق من هذه الغارات ذكرى إلا فى بطون التواريخ ، أما غارات العرب على فرنسا - كما قال المستشرق الفرنسى رينو - فلاتزال فى جميع الأذهان كأنها حديثة العهد على الرغم من أن غارات العرب ، كانت قبل هذه الغارات ، وذلك لما تميزت به غارات العرب من القوة والعظمة، وماكانوا عليه من مدنية ، وكان العرب فى تلك الفترة أمثلة عليا فى الشجاعة والشهامة وعزة النفس ومكارم الأخلاق والعفو عند المقدرة وقرى الضيف ، وصارت سيرة هؤلاء المسلمين مادة خصبة لكثير من القصص الشعبى ، وظلت هذه القصص هى المعول عليها إلى عهد غير بعيد (٩٢).

الهوامش والتعليقات :

١ - الحميدى : أبو عبد الله محمد بن أبى نصير : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، تحقيق محمد تاويت الطنجى ، القاهرة ١٣٧١هـ . ١٩٥٢ ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ؛ ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ط دار الكتب المصرية جـ٣ ، ص ٣٢٧ ؛ فازيليف : أ.أ. العرب والروم ، ترجمة د. عبد الهادى شعيرة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٥٠م ، ص ٥٨ .

٢ - ابن الأثير (أبو الحسن على بن أبى الكرم) : الكامل فى التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، جـ ٦ ، ص ٦ .

٣ - أرسلان : الأمير شكيب : تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٢٨٥ .

٤ - ابن حيان :أبو مروان حيان بن خلف : المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تحقيق د. محمد على مكى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامى ، ط الأهرام التجارية ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ ؛ أرسلان : المرجع السابق ، نقلاً عن رينو المستشرق الفرنسى ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ ؛ لويس : أرشيبالد : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦م ، ص ١٦٤ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ط السادسة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥م ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

٥ - البلاذرى (أبو الحسن أحمد بن يحيى) فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٧م ، ص ١٥٩ ؛ الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط. الثانية - دار المعارف القاهرة ١٩٧٦م ، جـ ١٠ ، ص ٧٥ ، ص ٧٦ .

٦ - لويس : أرشيبالد : مرجع سابق ، ص ٢٤٨ ، ص ٢٤٩ .

٧ - رنسيمان : ستيفن ، الحضارة البيزنطية ، ترجمة د. عبد العزيز جاويد ، مجموعة الألف كتاب رقم (٣٧٩) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦١م ، ص ١٧٧ .

٨ - المرجع السابق .

٩ - المرجع السابق .

١٠ - لويس : القوى البحرية والتجارية ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

١١ - الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، مصدر سابق ،

ص٣٩٨ ، ٣٩٩ ؛ سليمان : د. أحمد عبد الكريم المسلمون والبيزنطيون فى شرق البحر المتوسط ، مطبعة السعادة الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٤٩ ، ٥٤ .

١٢ - لويس : المرجع السابق ، ص ١٦٦ ، ص ٢٢٩ .

١٣ - فشر : هـ . أ.ل: تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ترجمة د. محمد مصطفى زيادة ود. السيد الباز العرينى ، دار المعارف الطبعة السادسة ، القاهرة ١٩٧٦م جـ ١ ، ص ٩٩ ؛ الشيخ : د. محمد محمد مرسى ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادى . مؤسسة الثقافة الجامعية بالأسكندرية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

١٤ - الشيخ : المرجع السابق ، ص ٣٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ؛ العدوى : د. إبراهيم : المسلمون والجرمان ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٧٧ .

١٥ - عنان : محمد عبد الله ، دولة الإسلام فى الأندلس ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، العصر الأول ، القسم الثانى ، ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ ؛ سالم : د. عبد العزيز والعبادى : د. أحمد مختار تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، بدون تاريخ جـ ٢ ، من ص ١٤٧ - ١٥٢ .

١٦ - الشيخ : د. محمد ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس ، مرجع سابق ص ١٨٦ نقلاً عن:

Pirenne. H : Mohamed and Charlemagne (London 1968) p. 159 .

١٧ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، مرجع سابق ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ ؛ أبو الفضل : د. محمد ، تاريخ مدينة المرية فى العصر الإسلامى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - فرع الإسكندرية ١٩٨١م ، ص ٣٤ .

١٨ - عنان : المرجع السابق ، ص ٤٦٨ .

١٩ - مؤنس : د. حسين ، مقدمة كتاب رياض النفوس للمالكى القاهرة ، ١٩٥١م ، ص ٧ .

٢٠ - المالكى : أبو الحسن على بن الحسن ، رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم . تحقيق د. حسين مؤنس القاهرة ١٩٥١ ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ ؛ ابن عذارى : أبو عبد الله محمد : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان وليفى بروفنسال . دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٧م . جـ ١ ، ص ١٠٤ ؛ عبد الحميد : د. سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربى، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٧٩م ، جـ ٢ ، ص ٧١ .

٢١ - ابن الأثير : الكامل ، مصدر سابق جـ ٥ ، ص ١٢١ ، ص ١٨٦ ؛ ابن عذارى : المصدر السابق ،

٢٢ - متز : آدم الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ، الطبعة الرابعة دار الكتاب العربى ، بيروت ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧ ، جـ ١ ، ص ٢١ ، ٢٢ ؛ لويس : القوى البحرية والتجارية ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠ .

٢٣ - د. سالم ، د. العبادى : تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ١٣٢ .

٢٤ - ابن عذارى : البيان المغرب ، مصدر سابق جـ ١ ، ص ١٣٢ ؛ الحميرى : عبد المنعم السبتى: الروض المعطار فى أخبار الأقطار ، ترجمة ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٣٧م ، ص ١٥٧ .

٢٥ - عباس : د. إحسان ، العرب فى صقلية الطبعة الثانية ، دار الثقافة بيروت ١٩٧٥م ص ٣٦ ؛ عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربى ، مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ .

٢٦ - لويس : القوى البحرية التجارية ، مرجع سابق ، ص ٢١٣ .

٢٧ - عباس : العرب فى صقلية ، مرجع سابق ، ص ٣٥ ؛ العرينى : د. السيد الباز : الإمبراطورية البيزنطية ، النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٢٣٨ ، ص ٢٣٩ .

٢٨ - لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

٢٩ - الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله : معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربى، بيروت بدون تاريخ جـ ٤ ، ص ٣٠ .

٣٠ - المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٩٠ .

٣١ - جزر البليار : مجموعة من الجزر تشكل أرخبيلا : يتكون من خمس جزر رئيسة هى : ميورقة ومنورقة ويابسة وفرمنتيرة وقبريرة ، بالإضافة إلى حوالى مائة جزيرة صغيرة وكتلة صخرية . انظر دائرة المعارف للبستانى طبعة ، ١٨٧٨م ، جـ ٥ ، ص ١٤٩ .

٣٢ - خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، نشر أكرم العمرى ، بغداد ١٩٦٨م ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ٤ ، ص ١١٢ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٥ .

٣٣ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بولاق ١٢٨٤هـ / ١٨٧٠م، جـ ٤ ، ص ٣٥٣ ؛ مؤنس : د. حسين ، المسلمون فى حوض البحر المتوسط ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، مايو ١٩٥١م ، ص ١٢١ .

٣٤ - سيديو : ل . أ . : تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر ، الطبعة الثانية ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، ص ٢٤٦ .

٣٥ - فازيليف : العرب والروم ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ ؛ طرخان : د. إبراهيم : المسلمون فى أوربا فى

ابن على : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٣٣٨هـ / ١٩١٨م ، جـ٥ ، ص ٤١٥ .

٣٦ - فازيليف : المرجع السابق ، طرخان ، المرجع السابق .

٣٧ - المرجعان السابقان .

٣٨ - فازيليف : المرجع السابق ؛ لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ص ٢١٤.

٣٩ - المرجعان السابقان .

٤٠ - أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ ؛ عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول القسم الثانى ، ص ٤٦٧ ؛ الشيخ : د. محمد : دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ ، ص ١٩٠ .

٤١ - أرسلان : المرجع السابق ، الشيخ : المرجع السابق .

٤٢ - مونس : المسلمون فى حوض البحر المتوسط ، مرجع سابق ، ص ١١٢ .

٤٣ - المرجع السابق ؛ طرخان : المسلمون فى أوربا العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ٢١٩ ؛ لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٢١٤ .

٤٤ - مؤنس : المرجع السابق ؛ طرخان : المرجع السابق ، ص ١١٤ .

٤٥ - لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٢١٤ ، ٢٢١ .

٤٦ - المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

٤٧ - الكامل : مصدر سابق ، جـ ٥ ، ص ٢٦٣ .

٤٨ - لويس : القوى البحرية والتجارية ، مرجع سابق ، ص ٢١٨ ، ص ٢١٩ ، ص ٢٢١ .

٤٩ - مؤنس : المسلمون فى حوض البحر المتوسط ، مرجع سابق ، ص ١١٢ .

٥٠ - كرد على : محمد ، خطط الشام دمشق ، ١٩٢٥ جـ ١ ، ص ٢٧٧ ، ص ٢٧٨ ؛ لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٢٠ .

٥١ - كرد على : المرجع السابق ؛ طرخان : المسلمون فى أوربا فى العصور الوسطى ، ص ٢١٩ ؛ وكاليليا : سارنللى ، شركوا مجاهد العامرى قائد الأسطول العربى فى غرب البحر المتوسط ، الطبعة الأولى ، لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٦١م ، ص ٢٠٠ .

٥٢ - لويس : القوى البحرية والتجارية ، مرجع سابق ، ص ٢٣٠ .

... ص ١٦٠ ، ١٦١ ؛ عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر

٥٤ - المرجعان السابقان .

٥٥ - أرسلان المرجع السابق ، ص ١٩١ .

٥٦ - الشيخ : دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس ، مرجع سابق ، ص ١٩٨ .

٥٧ - أرسلان : غزوات العرب ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ إلى ١٩٢ ؛ عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول القسم الثانى ، ص ٤٧٣ ، ٤٧٤ .

٥٨ - أرسلان : المرجع السابق ص ١٦١ ، حاشية رقم ١٠) ؛ عنان : المرجع السابق ص ٤٦٩ .

٥٩ - أرسلان : المرجع السابق ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ؛ عنان : المرجع السابق ، ص ٤٧٠ ، ص ٤٧٣ ، وكان خروج المسلمين من غانويل أو جرينويل سنة ٩٥٦م عند أرسلان ، ومعنى ذلك أنهم لم يمكثوا غير عامين بالمدينة ، التى فتحت سنة ٩٥٤م ، وعند عنان ، كان خروج المسلمين من المدينة سنة ٩٦٥م ، وهو ما أخذ به البحث .

٦٠ - ابن الأثير : الكامل ، مصدر سابق جـ ٥ ، ص ٣٦٤ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١١٥ ، وقد ذكر ابن عذارى أن اسم أخيه (والى صقلية) أحمد .

٦١ - أرسلان : غزوات العرب ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

٦٢ - رنسيمان : ستيفن : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

٦٣ - يوسف : د. جوزيف نسيم : تاريخ الدولة البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٨م ، ص ١٤٢ .

٦٤ - المرجع السابق ص ١٦٠ .

٦٥ - ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ، ص ١٤ ؛ سليمان : د. أحمد عبد الكريم : المسلمون والبيزنطيون ، مرجع سابق ، ص ١٣ ، ص ١٤ .

٦٦ - لويس : القوى البحرية والتجارية ، مرجع سابق ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

٦٧ - ابن عذارى : البيان المغرب جـ ١ ، ص ٢٣٩ ؛ المقرى : أبو العباس أحمد بن محمد ؟: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨م ، جـ ١ ، ص ٣٦٠ .

٦٨ - عاشور : د. سعيد ، الرافعى : عبد الرحمن : مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٦م ، ص ٢٣٨ ؛ سرور : د. محمد جمال الدين سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م ص ٢٢٠ ، ص ٢٢١ .

٦٩ - الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ؛ العدوى : د. إبراهيم : قوات البحرية العربية فى

٧٠ - لويس : القوى البحرية والتجارية ، مرجع سابق ص ٣٢٣ .

٧١ - الشيخ : دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس ، ص ٢٠٧ ، ص ٢٠٨ .

٧٢ - أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ١٨٩ .

٧٣ - ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣١٨ ؛ سالم : د. السيد : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٨٢ ، ص ٢٨٨ .

٧٤ - طرخان : المسلمون فى أوربا ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ؛ لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣٠ .

٧٥ - أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ١٨٦ ، ص ١٨٧ ؛ عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، العصر الأول القسم الثنتى ، ص ٤٧٣ .

٧٦ - أرسلان : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

٧٧ - الشيخ : دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس ، ص ٢٠٧ ، ص ٢٠٨ .

٧٨ - لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ٣١٨ .

٧٩ - المرجع السابق .

٨٠ - المرجع السابق ، ص ٣٢٣ .

٨١ - أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ١٦٦ ، ص ١٦٧ ؛ الشيخ : دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس ، ص ١٩٨ .

٨٢ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول - القسم الثانى ، ص ٤٧٥ .

٨٣ - أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ٢٢٨ ، ٢٩ .

٨٤ - المصدر السابق ، ص ٢٤١ .

٨٥ - عنان : دولة الإسلام فى الأندلس - العصر الأول - القسم الثانى ، ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

٨٦ - المرجع السابق ، ص ٤٧٨ .

٨٧ - المرجع السابق .

٨٨ - أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ؛ عنان : المرجع السابق .

٨٩ - أرسلان : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ ؛ عنان : المرجع السابق ص ٤٧٧ .

٩٠ - أرسلان : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ؛ عنان المرجع السابق .

٩١ - أرسلان : المرجع السابق ، من ص ٢٠٦ - ٢٠٩ ؛ عنان : المرجع السابق ، ص ٤٧٠ .

٩٢ - أرسلان : المرجع السابق من ص ٢٤١ - ٢٤٣ ؛ عنان : المرجع السابق ، ص ٤٧٩ .

د. جمال محمود مرسى(*)

ملامح اندلسية

خزفيات الدول

يُعد الخزف من أهم حرف الفنون الزخرفية ال
دولتهم ، وعبر حقبهم التاريخية المتعاقبة ، إ
صناعته ، كإيران والعراق ومصر والشام ، وأدمج
وتبادل خبراته ، ومن ثم ظهور نهضته العالية
وأنواعها المتباينة وزخارفها المتنوعة ووظائفها
المشتغلين بالآثار ، وتعاونهم فى ترتيب مراحل تد

وتأتى التحف الخزفية التى ازدانت بها الدور
ووصلت إلى أوج بهائها فى عهد الدولة النصرية
٨٩٧هـ = ٧-١٦ مايو ١٢٣٨ - يناير ١٤٩٢م
الإسلامية التى أتيح لها التأثير فى نظائرها الإ
بالقدر الذى تستحقه من الدراسات الأثرية ، مما ك
غلاف واحد لأول مرة ، مستهدفًا تحديد ملامحها

* - أستاذ مساعد ورئيس قسم الآثار الإسلامية -

ن الأكاسيد المعدنية ، وتحرق بعد ذلك فى فرن
فـ كتسب بذلك لمعانًا ذهبيًا (٨).

ف ذى البريق المعدنى ، رددها المؤرخون العرب
هب أو الغضار المذهب . ويجلب إلى أقاصى
لإيطاليين ، فعرفوا كيف يضيئون نماذج عصر
من قبل ، كخزفيات الصانع الماهر جيورجيو
ر (Gubbio) المشهور ، ذات البريق الذهبى

ة تحت طبقة من مادة الزجاج الذائب الشفاف
ق والأخضر والأصفر والبنى والقهوائى أو
كبر حجم رسومه وقوة وضوحها ، وبطريقة فى
، تعرف بطريقة الرسم بالحفر (Graffito) أو
أن المنتج الخزفى بعد تشكيله ، لم يكن يزجج
ج كل واحد منها بواسطة الفرشاة بلون خاص ،
رسم بفرشاة مغموسة فى أكسيد المنجنيز الخام،
، خروج المنتج من الفرن (١٢).

الأندلسية فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) ،
صناعة الخزف الإسلامى ، ساعدت على ازدهار

الأخرى المتعددة الألوان تحت الطلاء الزجاجى
لية على مهاد تغطيه فى معظم الأحيان فروع
ة بنقاط دقيقة ، وهى عبارة عن رسوم آدمية
يعة ، وأخرى محورة تحويرًا يجعلها فى بعض
: والجمال ، كرسوم الأسود والأسماك ، فضلاً
نخيلية كبيرة وأوراق البلوط ، ووريدات وزهور
تنبثق من فروع نباتية ومضفرات متقنة ، إلى